جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى للناشر
١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

رقم الإيداع: ٢٠٠٩/١٤١٢٥
الترقيم الدولي I.S.B.N
978- 977- 456-233-1

مركز السلام للتجهيز الفني
عبد الحميد عمر
٠١٠٦٩٦٢٦٤٧

الأندلس الجديدة
للنشر والتوزيع
18 شارع مظر - أحمد حلمي - شبرا مصر - تليفون 01101068135
newandalus@hotmail.com

# مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي الأمي الأمين، وآله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن الله -تبارك وتعالى- شرَّف هذه الأمة بإنزال القرآن العظيم على نبيها ﷺ، وهو أحسن كتب الله- تعالى- نظامًا، وأعظمها بيانًا، وأروعها ألفاظًا، وأدقها إيجازًا، وجعل فيه أصول كل شيء، وشفاء كل عي، ثم إنه تعالى شرَّف طائفة من هذه الأمة بأن جعل مصاحفها في صدورها مزية لها، وتكرمة ورفعًا لقدرها، فيا فوز من جعل كتاب الله بين الحنايا، وعمل به قبل نزول المنايا، وتعاهده من النسيان، وابتغى بكل ذلك رضى الرحمن.

هذا وإن المشتغلين بالقرآن حفظًا ودراسة وفهمًا ثروة للأمة وكنز، وفخر وعز، هذا إن جمعوا بين الحفظ والعمل، والحفاظ على الحروف والوقوف عند الحدود، واقتدوا بالسادات العظام، من أسلافنا الكرام، فصاروا مصاحف تمشي على الأرض، وحافظوا على السنة والفرض، ولم يرضوا بالدنايا، ولم يجعلوا الدين مطايا، وكانوا لأنفسهم مجاهدين، ولشهواتهم الحرام قامعين، ولمكانتهم عاملين، وللدنيا مجافين، وللآخرة ناظرين، وللأطماع قاطعين، وعن أموال الناس متعففين، وبالإسلام مستمسكين، وعلى الله متوكلين، ومنه خائفين، وإليه منيبين.

وصاحب القرآن مطالب بأن يفقه دينه، ويعمل بإسلامه، وينمي روحه، ويعظم يقينه، ويرتقي بثقافته، ويستغني عن الناس بعمله ووظيفته، وذلك

حتى يكون بين الناس كالشامة، وقدوة وعلامة، وهو أحق الناس بذلك، وأولاهم بها هنالك.

- وفي هذا البحث رأيت أن أتحدث عن الجانب الفكري في حياة المشتغلين بالقرآن حفظًا ودراسة وفهمًا، وذلك للأسباب التالية:

### ⊂ ضعف الجانب الفكري عند أكثر هؤلاء[1]:

إن كثيرًا من المشتغلين بالقرآن جهدوا وجاهدوا حتى يرتقوا بالجوانب الإيمانية والتعبدية والعلمية، وربما أخذوا بشيء من الجوانب الثقافية، أما الجانب الفكري فأكثرهم منه بمعزل، وعنه بمنأى، وذلك لوعورة مسالكه وصعوبة مسائله، في قضايا الفكر خارج القرآن، أما في القرآن العظيم، فتساق القضايا الفكرية مساقًا سهلاً ميسور الفهم، كما سيأتي إن شاء الله أو لعدم الرغبة في الخوض في قضاياه.

### ⊂ الاستجابة لأمر الله -تعالى- بالتفكر:

إن القرآن الكريم ينادي على قرائه- والمشتغلين به من باب أولى- بوجوب النظر وإعمال الفكر، هذا وقد وردت كلمة الفكر ومشتقاتها في القرآن قرابة عشرين مرة، فأين هؤلاء من هذا؟!

### ⊂ تحقيق توازن الشخصية القرآنية:

إن المشتغل بالقرآن المقبل على حفظه ودراسته مطالب أن يقود مجتمعه إلى

---

(١) وكذلك الشأن في غيرهم من المنقطعين للحديث أو الفقه أو اللغة، أو غيرها من العلوم والفنون، ولم يعنوا بها ذكرته آنفًا وما سأذكره لاحقًا، وإنما اقتصرت في الذكر على المشتغلين بالقرآن لأن البحث سيق من أجلهم، فهو في الأصل بحث طرح في مؤتمر قرآني، كما سيأتي ذكره في آخر المقدمة.

الخير والرشاد، والهدى والفلاح، ولا يكون كذلك إلا إن كانت شخصيته متوازنة في سلوكها، متكاملة في معارفها، آخذة من كل شيء بطرف، مبتعدة عن الغلو والتفريط والسرف، ومن عقل من الحفاظ عن الجانب الفكري فلم يهتم به، وأسقطه من حسابه فلم يعرج عليه، فإن شخصيته يعتورها النقص، ويشوبها الخلل، ويعتريها الخطأ والخطل، وربما لا يعود صالحًا لقيادة مجتمعه أو التأثير القوي فيه.

### ⊂ تحقيق الخيرية الواردة في حديث رسول الله ﷺ:

إن رسول الله ﷺ مدح «حامل القرآن غير الغالي فيه ولا الجافي عنه»[1]، وصاحب القرآن إن أراد أن يكون كذلك فلا بد أن يفهم جملة من القضايا مثل: الغلو والتساهل، والإفراط والتفريط، والتشدد والسماحة، واللين والجفاء، واليسر والعسر، ويلزم من ذلك معرفة جملة من القواعد الفكرية والضوابط الهادية في هذا الباب.

### ⊂ التنبيه على عظم شأن المتفكرين:

هناك آيات عظمت شأن المتفكرين، وهم الذين يعملون الفكر في شئونهم، وأحوال الناس من حولهم، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٦٩].

﴿قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ١٠١].

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي

(١) أخرجه الإمام أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب في تنزيل الناس منازلهم.

الأَلْبَابِ ۞ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [آل عمران: ١٩٠، ١٩١].

وصاحب القرآن أولى الناس بالاندراج في هؤلاء.

### ⊂ إصلاح الخلل الفكري:

إن الخلل الذي أصاب المجتمعات الإسلامية إنما هو- في أكثره- خلل فكري ناشئ عن التفريط في فهم الضوابط والقواعد المبثوثة في كتاب الله- تعالى- ومن ثم تطبيقها في المجتمع، وناشئ عن تأخيرها لكثير من الأولويات الواردة في كتاب الله- تعالى- وتقديمنا للمفضول ولما حقه التأخير لكونه مندرجًا في باب السنن والتطوعات التي تؤتي وتعمل بعد الفرائض والمهمات الواردة في كتاب الله- تعالى- فإصلاح هذا الخلل الذي أصاب الجانب الفكري هو مقدمة مهمة لإصلاح المجتمع والأخذ بيده نحو سعادته في الدنيا والآخرة.

بهذه الجوانب الستة- وغيرها مما لم أذكره- تتضح الأهمية البالغة لمراعاة المشتغلين بالقرآن للجانب الفكري فيه وتفهم تلك القواعد والضوابط الفكرية ومن ثم العمل بها. ولهذا كله كتبت هذا البحث، والله الموفق[1].

**وكتبه**

**محمد بن موسى الشريف**

البريد الإلكتروني: mmalshareef@hotmail.com

الموقع على الشبكة: www.altareekh.com

(١) أصل هذا الرسالة هو بحث ألقيته في مؤتمر «الهيئة العالمية لحفظ القرآن الكريم» في الكويت سنة ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

# المطلب الأول

## معنى الفكر وصيغ وروده في كتاب الله- تعالى-

**الفكر لغة:** فكر في الأمر فكرًا: أعمل العقل فيه، وقيل: تأمل بنظر وروية في الشيء[١].

**والفكر اصطلاحًا:** هو «قوة مُطْرِقة للعلم إلى المعلوم، والتفكر جَوَلان تلك القوة بحسب نظر العقل، وذلك الإنسان دون الحيوان، ولا يقال إلا فيما يمكن أن يحصل له صورة في القلب... ورجل فِكِّير: كثير الفكرة.

**قال بعض الأدباء:**

الفكر مقلوب عن الفَرْك لكن يستعمل الفكر في المعاني وهو فَرْك الأمور وبحثها طلبًا للوصول إلى حقيقتها»[٢].

والتفكير- أيضًا: هو إعمال العقل في مشكلة للتوصل إلى حلها[٣].

وقيل: الفكر إعمال العقل في المعلوم للوصول إلى معرفة مجهول[٤].

والقرآن الكريم يدعو إلى إعمال الفكر في آيات كثيرات، ويسمي هذا الأعمال بأسماء عديدة، فمنها:

---

(١) «معجم متن اللغة»: ف ك ر.
(٢) «معجم مفردات ألفاظ القرآن» للراغب الأصبهاني: ف ك ر: ٣٩٨، ٣٩٩.
(٣) «المعجم الوسيط»: ف ك ر.
(٤) «المعجم الوسيط»: ف ك ر.

## التفكر:

وقد وردت تصريفات هذه الكلمة في كتاب الله -تعالى- قرابة عشرين مرة بصيغ مختلفة، دالة على أهميته، ومنزلته في هذا الكتاب العظيم، ودالة على أن الإسلام دين موافق للفطر القويمة، والعقول السليمة، ولا يمكن أن يسوق التفكير السليم فيما ورد في هذا الكتاب العظيم إلا لهذه النتيجة الباهرة الظاهرة.

ومن ذلك التعقل وهو يجري في المجرى نفسه، وقد ورد في كتاب الله -تعالى- في آيات كثيرة بصيغ مختلفة.

ومن العجيب أن الله -تعالى- ذكر الذين يهملون التعقل في باب الإيمان بشر ما ذكر به قومًا في كتابه، فقال جل من قائل: ﴿**وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ**﴾ [يونس: ١٠٠].

وكان الأستاذ عباس العقاد[١] قد بدأ كتابه «التفكير فريضة إسلامية» بنحو ثلاثمائة آية عن العقل، ووظائفه، وأوصافه، وأساليبه في الفهم والاستدلال[٢].

---

(١) عباس بن محمود بن إبراهيم العقاد. إمام في الأدب، مصري، من المكثرين كتابة وتصنيفًا مع الإبداع. أصله من دمياط. ولد عام ١٣٠٦هـ/ ١٨٨٩م في أسوان وتعلم في مدرستها الابتدائية، وشغف بالمطالعة، وانقطع إلى الكتابة في الصحف والتأليف، وأقبل الناس على ما يكتبه. تعلم الإنجليزية في صباه وأجادها ثم ألم بالألمانية والفرنسية، وظل اسمه لامعًا نصف قرن أخرج فيها ثلاثة وثمانين كتابًا في أنواع مختلفة. توفي بالقاهرة سنة ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٤م. انظر «الأعلام»: ٣/ ٢٦٦، ٢٦٧.

(٢) «كيف نتعامل مع القرآن»: الشيخ محمد الغزالي: ٩٣، ٩٤.

ومن ذلك **النظر**، وهو بمعنى الفكر والتأمل، وقد ورد في كتاب الله -تعالى- على أوجه مختلفة في أكثر من أربعة وثلاثين موضعًا.

وجملة «أولى الألباب» وردت في القرآن الكريم في ستة عشر موضعًا[١].

ومن ذلك **التدبر**، وقد أمرنا الله -تعالى- به فقال جل من قائل:

﴿أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

وقال تعالى: ﴿أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤].

والتدبر مفتقر إلى تفكير طويل؛ وذلك أن التدبر هو النظر في دبر الأمور، أي مآلاتها ونتائجها، وهذا لا يكون إلا بنظر دائم وتفكير طويل.

هذا الصيغ الواردة في كتاب الله- تعالى- المعبرة عن قضية التفكير دالة على عظيم منزلته، وجلال أهميته، وأن القرآن العظيم لا يمكن ولا يتأتى أن يرد فيه شيء تمجه العقول السليمة، التي كلما أمعنت في التفكر والتدبر في هذا الكتاب زاد يقينها واطمئنانها إلى أنه من عند الله- تعالى- حقًّا وصدقًا.

والأمر بالتفكير والنظر والتدبر والتعقل في كتاب الله- تعالى- أمر لافت للأنظار، عجيب في كثرته وتنوعه، وتعدد صيغه، ثم إنه من الغريب بعد ذلك أن تكون الأمة التي كتابها على هذه الشاكلة أمة متخلفة ضعيفة، في ذيل قائمة الأمم في أكثر جوانب الحياة المعاصرة، وهذا دال بوضوح أن المسلمين في هذا الزمان لم يلتفتوا إليها كما ينبغي، ولم يولوها الأهمية اللائقة بها، إضافة إلى أثر

(١) «كيف نتعامل مع القرآن»: ٩٣، ٩٤.

العقبات التي وضعها أعداؤها أمامهم ووضعوها هم بأنفسهم أيضًا أمامهم.

والمشتغلون بالقرآن مطالبون اليوم- أكثر من غيرهم- أن يولوا هذه القضية الاهتمام اللائق، وأن يكثروا من النظر والتدبر والتفكر في هذا الكتاب العظيم، عسى أن يقودهم هذا التفكير والتدبر إلى العمل المثمر والدعوة الواعية العاقلة لغيرهم، وإلى أن يقودوا مجتمعاتهم إلى السيادة والعزة بإذن الله -تعالى-.

***

## المطلب الثاني

## مميزات الخطاب الفكري القرآني

لما كان القرآن العظيم قد أُسس كثير من جوانب الخطاب فيه على مخاطبة العقل، والمطالبة بإعمال الفكر والنظر والتدبر في الآفاق وفي الأنفس وفي سائر المخلوقات، كما بينت آنفًا، لما كان الخطاب القرآني كذلك كان حقًّا على العقلاء أن ينظروا فيه مليًّا ليستخرجوا منه الميزات التي تميز بها هذا الخطاب ليستفيدوا منها في حاضرهم ومستقبلهم، ويمكن أن أقول في عجالة: إن الخطاب القرآني متميز بالميزات التالية:

- إنه سهل ميسر للأفهام، ليس فيه تعقيد ولا تقعر، وليس فيه قصور ولا أوهام، وليس فيه لبس ولا خلط، بل هو واضح كل الوضوح، سهل الولوج إلى العقول الأفئدة.
- إن هذا الخطاب صالح للخاصة والعامة، تفهم كل فئة منه ما وصلت إليها معارفها ومداركها، فهو مشبع للخاصة، مفهم للعامة، كل يغترف منه على قدر علمه وفهمه، فهو ليس خطابًا فلسفيًّا معقدًا تمل منه الخاصة وتتجافاه أفهام العامة وأذواقهم.
- إن هذا الخطاب صالح لكل زمان ومكان، وهذا أمر عجيب دال على أن هذا القرآن من عند الله- تعالى-؛ إذ من المعلوم أن الخطاب

الفكري البشري صالح في أكثره لزمان دون زمان، ولمصر دون آخر، وانظر دليلاً على هذا آلاف الكتب والرسائل والمقالات بل عشرات الآلاف منها التي كتبت تفنيدًا للفكر الشيوعي وللعقيدة الدهرية؛ لما سقطت دولة هذه العقيدة الباطلة لم يعد لأكثر هذه الكتب التأثير الذي صاحب انتشارها آنذاك، وهذا أمر طبيعي يعتري البشر ونتاجهم، لكن الناظر إلى الرد على الدهريين وطرائق إثبات الألوهية في كتاب الله يعلم علم اليقين أنها واردة على هيئة إعجازية صالحة لكل زمان ومكان.

✍ إن الخطاب الفكري القرآني يجمع بين خطاب العقول والقلوب معًا على وجه معجز جليل، وهذا أمر عجيب؛ إذ المعلوم أن الخطاب الفكري يخاطب العقول، أما الخطاب القرآني فيخاطب العقول والقلوب معًا، فتساق في القرآن أعقد القضايا الفكرية مساقًا جليلاً يخاطب العقول، ويؤسس الإيمان، ويغرس اليقين في القلوب، كل ذلك في ثنايا ألفاظ جليلة ذات إيحاءات إيمانية مؤثرة، ووقع في القلوب عظيم، وهذا مما يمتاز به الخطاب الفكري في القرآن العظيم.

✍ الخطاب الفكري في القرآن دال على الله- تعالى- بذاته، فمن تأمل الأدلة العقلية الواردة فيه، وانتظامها، وموافقتها لصرائح العقول وبدائهها، وكيف تلج إلى العقول والقلوب بلا مانع ولا حائل من تعقيد أو خلط أو وهم أو تطويل، من تأمل ذلك كله علم أن هذا القرآن من عند الله- تعالى- بلا امتراء، ولا مدافعة، ومن أمثلة هذا

الآيات قوله تعالى:

﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٢].

﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لاَّبْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلاً﴾ [الإسراء: ٤٢].

﴿مَا اتَّخَذَ اللهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلاَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [المؤمنون: ٩١].

ففي هذه الآيات إثبات الألوهية وانفراد الله- تعالى- بها على وجه سهل فأين منه تعقيدات المناطقة والفلاسفة وعلماء الكلام.

تلك كانت بعض مميزات الخطاب الفكري في كتاب الله- تعالى-، ويتضح من سردها أن هذ الخطاب يمتاز بالوضوح والسلاسة والبعد عن التعقيدين: المعنوي واللفظي، وأنه صالح لكل زمان ومكان، وأنه صالح لخطاب الخاصة والعامة معًا، كل ذلك على هيئة معجزة ونظم فائق، لا يقاربه في ذلك أي خطاب فكري آخر ولا يدانيه.

وعلى صاحب القرآن أن يحذو في تفكيره حذو هذا الخطاب الفكري في كتاب الله- تعالى- حتى يصون خطابه على الزلل والتعقيد والغموض.

***

# المطلب الثالث

## بعض القضايا الفكرية التي تهم صاحب القرآن

هنالك قضايا فكرية تهم صاحب القرآن، وعليه أن يُعنى بفهمها والنسج على منوال ذلك التفهم في القضايا الأخرى المبثوثة في كتاب الله- تعالى-، وذلك أنه لا يمكن في سياق كهذا حصر كل القضايا الفكرية الواردة في كتاب الله- تعالى- ومناقشتها، إنما يكفي أن أورد أربع قضايا على وجه التمثيل، لأدلل على الأهمية البالغة التي ينبغي أن يوليها صاحب القرآن لقضايا الفكر في كتاب الله- تعالى-، وذلك حتى يكون على بينة من أمره، ونصاعة في فكره، ووضوح في تصوراته، وهذه القضايا التي اخترتها راعيت فيها الشمول لا الإحاطة، وسآتي عليها بإيجاز لأنها عولجت في مجلدات وكتب ضخمة، وإنما يكفيني أن أمثل بها على وجه من الوجازة كافٍ في التنبيه على عظم الأمر وأهميته.

وسأمد القول وأرخي العنان للكلام في قضية واحدة فقط هي قضية التشكيك في إلهية القرآن؛ وذلك لأهميتها وخطورة شأنها، ولأمثل على كيفية التصدي الفكري لمثل هذه القضايا الخطيرة فيكون ما أورده فيها صالحًا لأن يتخذ منهجًا للرد على ما سواها.

### القضية الأولى:

الأخذ بالوحيين معًا والرد على القرآنيين في ضوء قوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ

﴿الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧].

قد أنزل الله -تعالى- كتابه الجليل، على هيئة من الإيجاز بالغة حد الإعجاز، وأمر نبيه الأعظم ورسوله الأكرم محمدًا ﷺ أن يُبَيِّنَ ما أجمل في الكتاب، وأن يقيد المطلقات وأن يخصص العام إن احتيج إلى ذلك، بل إن رسول الله ﷺ كان مأذونًا له أن يشرع تشريعًا مستقلاً ليس أصله بوارد في كتاب الله- تعالى-، وفي هذا قال النبي ﷺ: **«ألا وإني أوتيت الكتاب ومثله معه»**[(١)].

وقد حذر النبي ﷺ من ادعاء الاكتفاء بالقرآن، وأخبر خبرًا معجزًا عن جماعة القرآنيين- الذين يدعون إلى الاكتفاء بالقرآن فقال بأبي هو وأمي ﷺ: **«ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول: عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه....»**[(٢)].

وعلى هذا ينبغي لصاحب القرآن أن يفقه خطورة هذه الفئة، وأنها فئة كافرة خرجت من الملة بسبب ادعائها الاكتفاء بالقرآن وزعمها أنه لا حاجة للسنة أو إنكارها لها[(٣)].

***

(١) أخرجه الإمام أبو داود في سننه: كتاب السنة: باب في لزوم السنة، وسكت عنه الإمام المنذري، قال الإمام الترمذي: حسن غريب.

(٢) المصدر السابق.

(٣) اشتدت خطورة القرآنيين في هذا الزمان، وعظمت الرزية بهم؛ وذلك لأنهم اتخذوا من شبكة المعلومات «الإنترنت» ومن بعض القنوات الفضائية وسيلة لنشر باطلهم، ولأنهم صاروا يطلبون الحماية لباطلهم من القوى المتجبرة الباغية، وآخر ما ابتلينا به من هؤلاء القرآنيين هو د. منصور، وهو أزهري مفتون، هرب إلى أمريكا، ونشر باطله هنالك، وأنشأ موقعًا في شبكة المعلومات «الإنترنت» وصار ينفث سمومه وباطله بدون حياء ولا وجل.

## القضية الثانية:

### القسوة والشدة في الحدود والقصاص:

إن العالم من حولنا قد انقلبت كثير من مفاهيمه، ومما زاد الطين بلة أن الناس ينظرون لكثير من القضايا من زاوية واحدة أو أكثر، ويغفلون عن النظر الشامل، وهذا من طبائع البشر؛ إذ ليس من شأنهم إلا النقص والغفلة، ولذلك كان لا بد أن تتكئ الأفهام وتأوي الأفكار إلى ركن شديد ألا وهو الله جل جلاله، وهو الذي قال في كتابه جل من قائل: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤].

ومن هذا النظر البشري القاصر ما يردده الكفار والضالون عن الحدود والقصاص في الإسلام، واتهام المسلمين بالوحشية، والقسوة، وأنهم يقطعون الأيدي والرءوس ويرجمون... إلخ.

**وهذا من هؤلاء عجيب، وذلك للأسباب التالية:**

- إن الله-تعالى- هو الآمر بهذا، ورسوله ﷺ شرع أيضًا طائفة من الحدود والقصاص، فالمسلمون في هذا الشأن يتبعون أوامر الله -تعالى- ورسوله ﷺ، ولم يفعلوا هذا من عند أنفسهم، والمعترضون يعلمون تمامًا أن المسلمين لا يكونون مسلمين إلا بتسليمهم بما جاءهم عن الله- تعالى- وعن رسوله ﷺ فكيف يطالبونهم بتعطيل الحدود والقصاص.

- إن أهل الكتاب أنفسهم قد كتب عليهم هذا؛ فقد قال الله- تعالى-: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنْفَ بِالأَنْفِ

﴿وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾ [المائدة: ٤٥] فحرّف هذا كله أو بعضه أهل الكتاب كما هو معلوم من شأنهم، وما حادثة اليهودين اللذين زنيا ببعيدة عنا[١].

✍ إن كثيرًا من منظمات حقوق الإنسان التي تدعي أن الحدود والقصاص قسوة وشدة تغفل أو تتغافل عن حقيقة مهمة جدًّا ألا وهي أن القاتل على سبيل المثال أزهق روحًا وأيتم أولادًا وأثكل نساء، فإن لم يقتص منه يقع الظلم العظيم، وتمتلئ نفوس أهل المقتول غيظًا وكمدًا، وتسود الفوضى في المجتمع بسبب محاولة أهل المقتول الأخذ بالثأر، فما بالهم يرحمون القاتل ويضيعون حق المقتول وحق أهله؟!

وقد حاورت في معرض الكتاب في القاهرة بعض هؤلاء وكانوا مسلمين فقلت لهم: كيف تعارضون عقوبة الإعدام وقد فرضها الله في بعض الحالات، فحادوا عن الجواب وقالوا: إنما قصدنا محاربة الإعدام السياسي!! وكان هذا حيدًا منهم عن الإجابة، إذ القاصي والداني يعلم أن هؤلاء يحاربون عقوبة الإعدام بقطع النظر عن أسبابها، وفي هذا عصيان للخالق ورد لشرعه المطهر، والعياذ بالله.

✍ وهؤلاء يغفلون أو يتغافلون عن حقيقة مهمة وهي أثر إقامة الحدود والقصاص في إصلاح المجتمع وإقامته على الجادة، وهذه حقائق أخبر عنها الله- تعالى- بقوله: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٩]. وقال جل من قائل: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا

(١) انظرها في صحيح الإمام البخاري: كتاب الحدود: باب الرجم في البلاط.

طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٢] وما ذلك إلا لأن في شهود العذاب تقويمًا وأي تقويم.

- إن القسوة في إقامة الحدود والقصاص هي رحمة في الواقع، وهي تماثل قسوة الجراح بجَوَلان مِبْضعه في جسد المريض لإنقاذه، فهذه الشدة والقسوة أمر مصاحب للحدود والقصاص، لكنها في واقع الأمر وحقيقته رحمة.
- إن تنفيذ القصاص والحدود في الإسلام أمره عجيب، وهو دال على أنه من عند الله- تعالى- حقًّا وتنفيذ لأمره صدقًا، فإن قطع الرأس في حالة الساحر- على سبيل المثال[1]- أخف الميتات على المحدود وأشدها على الناظر، وبذلك تحقق الرحمة بموت الميت في ثانية أو نحوها، لكن الناظر تظل هذه الصورة الشديدة منطبعة في ذهنه سنوات طوالاً وتقوِّم سلوكه وتضبط تصرفاته، بينما لو نظرنا إلى الإعدام بالكرسي الكهربائي أو الشنق أو غير ذلك لوجدنا أن الموت يتأخر على الميت دقائق طويلة ويتعذب كثيرًا، وربما لا يشاهده أحد من الجمهور- كما هو الحال في كثير من الدول- فتفوت المصلحتان معًا: التخفيف على المحدود أو المقتص منه، واتعاظ الناس برؤية القصاص أو الحد[2].

***

(١) إنما ذكرت الساحر لأن الحديث نص على ضربه بالسيف، أما السيف في غيره فليس بلازم.

(٢) انظر في هذه المسألة- مسألة القصاص والحدود- كتاب «المعجزة الكبرى: القرآن» للأستاذ محمد أبي زهرة رحمه الله: فصل علم الكتاب: مطلب الزواجر الاجتماعية: ٤٦٨- ٤٨٦ نشر دار الفكر العربي.

## القضية الثالثة:

### الجهاد في سبيل الله:

ليست هناك قضية تثار اليوم ضد المسلمين مثل قضية الجهاد في سبيل الله -تعالى-، والجهاد هو بذل الوسع واستفراغ الطاقة في إيصال دعوة الله -تعالى- للكافرين، ولقد أثار حولها أعداء الإسلام شبهات كثيرة، وردد بعض بني قومنا بعض هذه الشبهات أو كلها في غفلة شديدة أو عمالة أكيدة، ومما أثاره أعداء الإسلام حول هذه المسألة ما يلي:

#### ادعاء انتشار الإسلام بالسيف أو الإكراه على الدين:

هذه فرية رددوها كثيرًا، وإنما دينهم هو الذي انتشر بالسيف ابتداءً من قسطنطين الذي تبنى النصرانية محرفة مختلطة بالوثنية، ونشر هذا التحريف في أوربا الشرقية، وما أعمال كولمبوس في أمريكا، وأعمال الإسبان والبرتغال في أمريكا الجنوبية، والإسبان ومن بعدهم الأمريكان في الفلبين، والفرنسيين والألمان والإنجليز وغيرهم في إفريقيا، ما أعمال كل هؤلاء وغيرهم في نشر النصرانية بالسيف بخافية عنا، وليست منا ببعيدة، ويصدق في هؤلاء المثل العربي: «رمتني بدائها وانسلت»، وذلك لأنه لم يثبت في التاريخ قط أن المسلمين نشروا دينهم بالسيف، ولا أنهم أجبروا أحدًا على الدخول في دينهم، ولئن سأل سائل ما هذه المعارك التي جرت بين المسلمين وغيرهم منذ فجر الدعوة وما بعد ذلك؟ فأقول: إن الأمر سهل لمن تأمله، فالإسلام نزل غضًّا طريًّا، وأمر الله- تعالى- رسوله ﷺ بإبلاغ الرسالة: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ [الحجر: ٩٤]، ولم تكن هناك وسائل لإبلاغ الدعوة سوى وسيلة الاحتكاك

المباشرة بالشعوب والأقوام لعرض رسالة الإسلام عليهم، ولما كان ذلك متعذرًا إلا بإذن حكام أولئك الشعوب فقد توجه المسلمون إليهم بالشروط الثلاثة المعروفة:

- الإسلام فيصيرون إخوانًا لنا، لهم ما لنا، وعليهم ما علينا.
- أو الجزية، وهي رمز للخضوع والسماح للمسلمين بدخول بلادهم والتعريف بالإسلام.
- أو الحرب، وذلك حتى تزول القوة العسكرية التي تحول بين المسلمين وبين الشعوب، فإذا زالت هذه القوة ودخل المسلمون البلاد فليس لهم أن يجبروا أحدًا على اعتناق دينهم، وهذا هو الذي سار عليه المسلمون في معاركهم.

وبهذا تجتمع الآيات المطالبة بالجهاد والآيات التي تقضي بأن.

لكل دينه، وهذا في قوله تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ٦]، وقوله: ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، مع قوله تعالى على سبيل المثال ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩].

### الزعم بأن الجهاد إنما هو إرهاب:

أدخل أعداء الإسلام في نفوس وقلوب الكثيرين أن الجهاد إنما هو إرهاب، ويستوي في ذلك جهاد الطلب وجهاد الدفع ومقاومة الأعداء، أما